٤٠ عاما على صدور هذه المجلة

شهادات ... في «الآداب»

نشرت بعض الصحف اللبنانية شهادات لعدد من الأدباء، بمثابة تحية لمجلة «الآداب» في عامها الأربعين. وقد خصّصت جريدة «السفير» صفحة كاملة بتاريخ ٩٢/٣/٢٧ نعيد نشرها فيما يلي:

مقابلة مع سهيل ادريس

■ لقد كبرت «الآداب». أصبح عمرها أربعين سنة. كيف تنظر اليوم إلى هذه السنين التي مضت.؟

□ أستطيع أن أقسم هذه الفترة الزمنية قسمين أساسيين: الأول ويشمل زهاء ٢٥ عاماً منذ انشائها ـ إنشاء «الآداب» ـ في العام ١٩٥٣، حتى الحرب اللبنانية ١٩٧٥. وقد أصدرت عدداً خاصاً العام ٧٧ لمناسبة اليوبيل الفضي للمجلة، كان حقاً بمثابة تتويج لهذه المرحلة الأولى التي تمكنا فيها من متابعةرسالة «الآداب» بكل حرية وانطلاق. أما المرحلة الثانية فلا شك في أن الحرب اللبنانية استطاعت أن تترك بصماتها القوية على مسيرة «الآداب» بسبب من شبه انقطاع للمجلة عن كثير من كتابها وقرّائها. وربما كان من نتيجة ذلك أن صدورها أصبح غير منتظم بالرغم من أنها لم تتوقف قط عن هذا الصدور. وأكثر ما تجلّى أثر الحرب على «الآداب» في السنوات الأخيرة التي أصبح ظهور المجلة فيها شبه فصلي لشح المادة وانقطاع الاتصال. غير أنني لم أشعر في يوم من الأيام أن «الآداب» فقدت رسالتها وأصبح احتجابها شيئاً مطلوباً كما كتب بول شاوول في حملة مسعورة على المجلة. ربما كان يكمن وراءها عدم تبني «الآداب» لما يسمى قصيدة النثر التي كان بول أحد رعاتها على الأقل. بل لعلّ إحساسي بضرورة استمرار «الآداب» ناشئ عما أصاب العالم العربي وما يزال يصيبه من انتكاسات سياسية، وكان هذا ادعى إلى وعي الدور الثقافي في مواجهة هذه الأزمات والانتكاسات ولا سيما على الصعيد القومي الذي تفخر المجلة بأنها كانت ولا تزال تحمل لواءه. إن الشأن الثقافي الذي تغيّبه الدكتاتوريات السياسية أحوج ما نكون إلى تفعيله في حياتنا الاجتماعية، ومن هنا ما زلت مؤمناً بأن للآداب دورها الذي تلعبه في التصدي لإحاسيس الإحباط التي يخلفها الشأن السياسي القائم على التخاذل العربي المريع.

■ سأفترض مسبقاً أن الجيل الجديد لم يشاهد الكثير من أعداد «الآداب» وحتى أنه لم يقرأ بيان المجلة الافتتاحي. كما سأفترض مسبقاً، أن كثيرين لم يقرأوا روايتك **أصابعنا التي تحترق** التي تتحدث فيها عن كل المشكلات التي اعترضت المجلة. افترض هذا لأسألك العودة بالذاكرة إلى الوراء، لتحدثنا عن فكرة إنشاء «الآداب» لماذا، وما الهدف منها؟

□ إن فكرة إصدار مجلة ثقافية عربية بمعنى الحرص على شمولية التوجه إلى جميع القراء العرب، إنما اختمرت في ذهني وأنا في باريس حين كنت أعد «الدكتوراه» في الآداب. ففي العاصمة الفرنسية، تأثرت بواقعة عربية وظاهرة غربية. الواقعة هي احتكاكي بعدد من المثقفين العرب الذين كانوا يعدون مثلي شهاداتهم العليا ولكنهم يعيشون في الوقت نفسه هموم الشعب العربي. وقد كان الهم الرئيسي في تلك الفترة، العام ١٩٤٩، ناشئاً عن شعور الانهزام الذي أعقب فقدان فلسطين عام ١٩٤٨. ولا شك في أنني تأثرت آنذاك بأدب الالتزام الذي كان يمثله سارتر في مجلة «الأزمنة الحديثة»، تلك المجلة التي كانت لا تزال تنشر كثيراً من المقالات والدراسات المتعلقة بحرب المقاومة الفرنسية للنازية والفاشستية. كما أن فريق هذه المجلة الفرنسية كان مجهزاً في الكتابة والسلوك لإدانة الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمطالبة أو الدفاع عن حق الشعب الجزائري في الاستقلال والحرية. وهذا في الحقيقة ما جعلني أتبنى آنذاك الفكر الوجودي الذي تجند بادئ ذي بدء للدفاع ليس فقط عن شعب كوبا وفيتنام وسواهما. ومن يتابع أعداد «الآداب» الأولى، يلاحظ بسهولة اهتمامنا الشديد بترجمة كل ما كان يكتبه الكتاب الفرنسيون ولا سيما الوجوديون عن قضية الجزائر. كانت هزيمتنا في فلسطين تشبه الأزمة التي كان يعيشها الفرنسيون من الاحتلال النازي. فتجنيد «الآداب» للتعبير عن رفض الهزيمة العربية في فلسطين وعن ضرورة مقاومتها بالقلم والإبداع كان في أصل أدب الالتزام الذي تبنته الآداب وهو الذي أتاح لها هذا التصادي مع جمهور المثقفين العرب الذين كانوا يبحثون عن الحرية والمسؤولية وهما القضيتان الأساس في الفكر الوجودي. وربما كانت خاتمة روايتي **الحي اللاتيني** إرهاصاً بما كان مدعواً إليه كل مثقف عربي للعمل على محو عار الهزيمة. فإن بطل الرواية الذي تسأله أمه وقد عاد من باريس، هل انتهينا يا بني؟ يجيبها: «بل الآن نبدأ يا أمي». وحين أصدرت الآداب كنت أحمل في ضميري هذه الرسالة.

وليس صعباً أن يستطيع القارىء متابعة الحدث أو الأحداث العربية السياسية والقومية الكبرى على صفحات المجلة طوال ربع قرن.

■ تبنت المجلة كما تقول قضية الفكر الوجودي المتمثل بسارتر ورفاقه. لكن ألا تعتقد أن موقف سارتر من إسرائيل وزيارته لها، كما كتابه **المسألة اليهودية** قد أضعفت موقفه عربياً وبالتالي أثرت على شعبية المجلة؟

□ ليس إصدار كتاب **المسألة اليهودية** لسارتر هو الذي يعود على المثقف العربي بالخيبة، فهو كتاب نظري بالدرجة الأولى، ولكن الذي سبب خيبة كبيرة موقفه عام ١٩٦٧ حين زار مصر ثم إسرائيل. وقد سافرت إلى القاهرة بدعوة من لطفي الخولي لمقابلة سارتر، ولكن كلود لانزمان الذي كان يرافق سارتر وسيمون دوبوفوار في هذه الرحلة بذل كل ما في وسعه للحيلولة دون أن اجتمع بسارتر. وقد استنتجت من ذلك، أن تأثير الصهيونية على الكاتب الفرنسي بلغ إلى حد الرضوخ لأحد رموزها وهو كلود لانزمان الذي كان آنذاك في رئاسة تحرير «الأزمنة الحديثة». وبعد أن زار سارتر إسرائيل وأعلن تأييده لها في مواجهة العرب، أصدرت بيان استنكار وكتبت رسالة له أعبر فيها عن ندمي لترجمة آثاره وأصرح بأني كنت مخدوعاً في الإعجاب بموقفه دفاعاً عن حرية الشعوب المضطهدة. وما كان ذلك في الحقيقة ليدين موقفي من سارتر، فإن انقلابه وتذبذبه شأن خاص به ولا يمسني في شيء. والواقع أن سارتر بهذا الموقف قد فقد احترام المثقفين العرب جميعاً واحترام قطاع واسع من المثقفين الغربيين المتعاطفين مع الشعب الفلسطيني. وبالطبع بقيت «الآداب» منبر الفكر القومي دون أن تتأثر بشيء.

■ كيف اتصلت، في الأعداد الأولى، بكتّاب «الآداب»؟ فمنهم من كان معروفاً، ومنهم من كان مغموراً، وقد ساهمت «الآداب»، حقيقة، في إطلاق الكثيرين منهم. شئنا هذا أم لا.. إنها حقيقة تاريخية؟

□ أذكر أني بدأت الاتصال بالأدباء العرب وأنا بعد في باريس. وكنت قد أصدرت قبل ذلك عدداً من المجموعات القصصية وكتبت دراسات نقدية ولا سيما في مجلة «الأديب». وقد حققت من ذلك بعض الاتصالات بعدد من الكتاب العرب أمثال محمد مندور وسيد قطب وأنور المعداوي في مصر، وقد كتب هذان الأخيران عن مجموعاتي القصصية الأولى. وكذلك اتصلت بإبراهيم العريض في البحرين وفؤاد الشايب وعبد السلام العجيلي في سوريا... الخ. وقد كتبت إلى جميع هؤلاء أبلغهم عن نيتي في إصدار مجلة أدبية ملتزمة. وإذ لقيت منهم التشجيع، كتبت مخططاً للمجلة هو الذي أثبتّه في افتتاحية العدد الأول. وكنت قد اطلعت عليها أيضاً كلا من ميخائيل نعيمة وعبد الله العلايلي ورئيف خوري ومارون عبود وسعيد تقي الدين وسواهم ممن أصبحوا بعد ذلك أعمدة من أعمدة «الآداب». وقد استكتبت عدداً كبيراً من أدباء العروبة بفضل هذه العلاقات وإن كنت قد واجهت بعض المصاعب المادية التي يواجهها رئيس التحرير حين يستكتب أديباً مرموقاً.

■ وهل كان الاستكتاب مجانياً أم بمقابل؟

□ حين أصدرت الآداب بعد عودتي من باريس كنت مفلساً. من أجل ذلك استعنت بدار العلم للملايين للمشاركة في إصدارها، ولكنها - أي الدار - حددت مبالغ صغيرة للاستكتاب، فكنت أحاول تدبر الأمر بالتي هي أحسن. وأذكر هنا على سبيل الامتاع أنني طلبت من الدكتور محمد مندور أن يوافي المجلة ببعض مقالاته، وبعد أن أرسل لي مقالاته الأولى، كتبت له رسالة أقول فيها ما معناه: أشكرك على مقالتك وأرجو أن تقبل مني هذا التعويض «الرمزي» عنها، وكان كما أذكر لا يتعدى ٣ جنيهات مصرية. (ربما كان هذا مبلغاً لا بأس به عام ١٩٥٣!) واستمر مندور يوافيني بمقالاته على سبيل المجاملة وأرد عليه بإرسال مثل ذلك التعويض الرمزي على كل مقال. ثم حدث أن زرت القاهرة، فقصدت مندور في منزله وبعد أن استقبلني سألني بجدية: «هل صحيح أنك حزت على شهادة الدكتوراه من السوربون؟».

استغربت السؤال، فسألته مندهشاً «وهل تشك في ذلك يا دكتور»؟ أجابني «نعم، أشك». وأخذ مني الغضب مأخذه، فهممت بالنهوض، ولكنه شدني من يدي وأجلسني قائلاً: «أشك بأنك نلت الدكتوراه لأنك قصرت تقصيراً فادحاً في متابعة تاريخ المذاهب الأدبية، إذ أنك قد توقفت عند المذهب الرمزي في الأدب ولم تعرف أن هناك مذاهب أخرى جاءت بعده، كالمذهب الواقعي والمذهب المادي...». وهنا فرك مندور سبابته بإبهامه دليلاً أو كناية عن الفلوس. وكان أن انفجرت ضاحكاً، وظل مندور يكتب للآداب، ولكن مقالاته كانت تقصر شيئاً فشيئاً (على قدر قيمة التعويض الرمزي كما كتب لي فيما بعد معتذراً).

■ هل لك أن تسمي لنا بعض الأدباء والكتّاب، الذين أطلقتهم «الآداب»؟

□ تفخر «الآداب» أن عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء والنقاد نشأوا على صفحاتها ولم يكونوا معروفين قبل صدورها، ومنهم صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وأمل دنقل وسعدي يوسف ورجاء النقاش وسامي خشبة وخليل حاوي، بالإضافة إلى بعض الذين ذاعت أسماؤهم منذ نشروا في «الآداب» وإن كانوا قد بدأوا قبلها، ومنهم البياتي والسياب والملائكة وطوقان وفؤاد الشايب ومحمود المسعدي وسواهم. ومعظم الذين يشرفون اليوم على الصفحات الثقافية إنما ولدوا بين سطور مجلتنا.

■ حين أصدرت «الآداب» كان هناك، في تلك الفترة، العديد من المجلات الحاضرة والفاعلة في الثقافة العربية، «كالأديب» و«العرفان» و«الرسالة» و«الثقافة» المصريتين، وغيرها الكثير. ألم

تكن تخشى أن «تضيع» هذه المجلة «الناشئة» بين مجلات كهذه؟ هل كنت واثقاً من المنافسة؟

□ يبدو أن سر نجاح «الآداب» يعود إلى إيمانها بالوعي القومي الذي لم تكن المجلات آنذاك توليه كبير اهتمام. ومن الصدف ذات المغزى في هذا السياق، أن تصدر «الآداب» بعد أشهر قليلة من قيام ثورة عبد الناصر، وتقارب الأهداف القومية بينهما في أعقاب الهزيمة الفلسطينية. وهذا ما جعل «الآداب» تتفوق مثلاً على مجلة «الأديب» التي كتبت فيها شخصياً كثيراً من المقالات ولكنها كانت لا تولي الشأن السياسي والقومي إلا عناية بسيطة.

■ في أواخر الخمسينات، صدرت مجلة «شعر»، التي استقطبت بدورها، حضوراً في الساحة الثقافية. هل لك أن تحدثنا عن السجال الفكري الذي دار بين المجلتين وخاصة الخلاف العقائدي، إذا جاز لنا التعبير. بمعنى: كانت «الآداب» تطرح قضية القومية العربية في حين أن غالبية الذين أصدروا «شعر» كانوا ينتمون إلى العقيدة القومية السورية الاجتماعية، ناهيك عن صراع المجلتين بأنهما كانتا تمثلان تيار الحداثة الشعرية؟

□ ربما كان منطلق الخصومة بين «الآداب» و«شعر» ادعاء هذه الأخيرة أنها تمثل تيار الحداثة في الشعر العربي. وقد أرادت بذلك أن تنكر دور «الآداب» في هذا الميدان بالذات. والذين أرخوا لمسيرة التيار الشعري الحديث، ومنهم سلمى الخضراء الجيوسي، أثبتوا أن «الآداب» منذ أعدادها الأولى فتحت المجال واسعاً أمام القصيدة الحديثة أو الحرة القائمة على التفعيلة تطويراً للقصيدة العمودية التقليدية. أما «شعر» فلم تصدر إلا عام ١٩٥٦ أي بعد ٤ سنوات تقريباً على صدور «الآداب». ولكن الخلاف الأساسي بين المجلتين قائم على خلاف ايديولوجي بين القومية العربية والقومية السورية. وكان هذا الصراع قد بلغ أوجه بإعلان القوميين السوريين «أن العروبة قد أفلست». فإذا أضفنا إلى ذلك أن «شعر» بقيادة يوسف الخال وأنسي الحاج وسواهما كانت تدعو إلى الاستقاء من الينبوع الغربي دون التراث العربي أدركنا أن الذي كان يباعد بين المذهبين هو جذري وعميق. كانت «الآداب» تحمل لواء التجديد في الشعر والقصة والنقد ولكنها تربطه ربطاً أساسياً بالثقافة التراثية، في حين كانت «شعر» تدعو إلى نبذ التراث والانطلاق من نقطة الصفر الغربية. وقد ثبت في ما بعد علاقة بعض المجلات التي كانت تصدر آنذاك كشعر و«حوار» بمؤسسات أجنبية بعضها مرتبط بالاستخبارات؛ وقصة «حوار» معروفة في هذا السياق. ومن هنا أيضاً نشأ الخلاف في موضوع الشعر الحديث.

■ كيف يرى د. سهيل إدريس مستقبل «الآداب»؟ أي دور سيكون لها في المرحلة المقبلة؟

□ بعد أن انتهت الحرب اللبنانية لا بد من أن نخطط للآداب في مرحلتها التالية وأعتقد أن هذا التخطيط يقوم قبل كل شيء على رد الاعتبار للانتاج والإبداع الجادين العميقين. وأنا أخشى فعلاً على إنتاجنا من موجة الاستخفاف والاستهانة التي تطغى على الكتابة في العقد الأخير. إننا نشكو من غياب المعاناة الحقيقية في الإبداع الأدبي التي كنا نعيشها في الستينات وحتى السبعينات. ولست لأخفي أن شراء الأقلام الجادة وتطويعها لمقتضيات السلطات والأنظمة كان في أصل هذا الانحسار في الإبداع إذ أصبح يغري هذه الأقلام بالسهولة والسرعة لتلبية حاجات الصحافة الأدبية المرتبطة إما بوزارات الثقافة والإعلام أو بمؤسسات خاصة ليس من همومها رفعة الشأن الأدبي.

صحيح أن من حق منتج الأدب أن يفيد من عمله وجهده، ولكن إخضاع هذا الجهد إلى التأطير الذي لا بد منه في المجلات «الرسمية» ينتهي إلى الإضرار بمستوى الإبداع. فمشروعنا لإعادة الاعتبار للثقافة الجادة التي لا تسعى للفضائح بل تتوجه إلى تعميق الإحساس والوعي بالإبداع الثقافي هو الذي نأمل أن يقود خطانا في «الآداب» الجديدة. وربما كان لهذا العدد الأخير الذي صدر هذا الأسبوع من «الآداب» نموذجا لهذا التوجه الجاد الذي يشعر القارئ فيه بمعاناة في الكتابة وجدية لا نعثر عليهما اليوم في كثير مما ينشر في المجلات الأدبية. وإذا استطعنا أن نصمد في وجه الإغراءات المادية التي تحاول أن تغرق الأقلام لصرفها عن طريق الصراحة والحرية فإننا نتابع بذلك الدور الطليعي لمجلة «الآداب» مع إيماننا مسبقاً بصعوبة مثل هذه التي يبدو الطرفان المتنافسان فيها غير متكافئين على الإطلاق.

إن «الآداب» لا تستطيع بميزانيتها المحدودة المعتمدة أصلاً على ميزانية «دار الآداب» أن تنافس المجلات التي رصدت لها ميزانيات ضخمة، لا تحسب حساب الربح والخسارة. وأكبر همّ لمجلتنا الآن هو أن تسترد بالجدية والرصانة الأقلام المبدعة وأن تعمل على تجنيبها نزعة التخلي عن الحرية لصالح التوجهات السلطوية و«ترسيم» الثقافة العربية المعاصرة.

■ لو قدر لك أن تعود أربعين سنة إلى الوراء، وقد راودتك فيها فكرة إصدار مجلة أدبية، هل ستعيد التجربة؟

□ لن أتردد لحظة في إعادة التجربة، لأنني شديد الولع بالتحدي والمغامرة. وأعتقد أن الحياة التي تخلو منها ليست جديرة بأن تعاش.

أجرى الحوار:
اسكندر حبش

تلك الصبيحة القومية

«الآداب» في عامها الأربعين. إذن كم يكون عمر سهيل إدريس؟ لا أطرح هذا السؤال لأذكر صاحب «الآداب» بعدد السنوات التي بلغها، بل لأشهد لهذا الرجل الطافح بالحيوية والعطاء بحيث لا يبدو أنه هو نفسه تجاوز الأربعين. كأن السنين تنقص من عمره ولا تزيد عليه. أو كأنه يغرف من طفولة لا تني تجدد نفسها عاماً بعد عام. حتى ملامحه تشي بذلك. القامة التي لم يضف إليها كثيراً في الشكل، ولكنه أعطاها من المعنى ما جعلها تطاول تاريخاً برمته. براءة الوجه والابتسامة. الدماثة التي لم تنقص منها رفعة المقام، والهمة التي لم تنل من عزيمتها الهزائم والعثرات.

ذات يوم صرح حسين مروة لجريدة «السفير»: «ولدت شيخاً وأموت طفلاً». هذا القول يشبه سهيل إدريس ـ أطال الله في عمره ـ الذي هيأه والده المحافظ ليكون شيخاً معمماً يلقن نصوص الفقه وآيات الكتاب لطالبي المعرفة من أبناء «الخندق الغميق»، لكنه ضاق ذرعاً بالعمامة وذهب بالنص إلى مكان آخر، وراح يحفر لنفسه ولجيله خندقاً آخر يتجاوز في عمقه الحيَّ والطائفة والكيان ليجسد وجدان أمة كاملة.

كان يمكن لصاحب الحي اللاتيني في ذلك اليوم من عام ١٩٥٢ أن يؤسس، وهو في مقتبل العمر، شركة تجارية أو دكاناً يكفيه غائلة الفقر والعوز، كما يفعل الكثيرون في مثل سنه. كان يمكن له، وهو صاحب الصوت الرخيم، أن يكون مطرباً أو مؤذناً فوق إحدى مآذن بيروت الكثيرة. لكنه ارتقى مئذنة «الآداب» وصاح بصوته الجميل: «حَيِّ على الثقافة». وكانت صيحته تلك كافية لأن تجمع في تلك الصبيحة القومية كل حملة الأقلام من فقراء العرب المشتتين بين الماء والماء.

وكما بَنَتْ «إليسار» قرطاجة من جلد ثور، بنى سهيل إدريس من ورق «الآداب» المتواضع قرطاجة الروح العربية المتناثرة بين القرى والمدن والبيوت الفقيرة.

وجاء الجميع إلى «الآداب». من نجيب محفوظ إلى جبرا إبراهيم جبرا. ومن نزار قباني وبدر شاكر السياب إلى صلاح عبد الصبور، والعشرات غيرهم ممن لم يجدوا في ذلك الزمن منبراً يطعمهم من جوع ويسكنهم من خوف. وتبعتهم بعد ذلك أجيال الوراثة التي تعددت مشاربها واتجاهاتها، وتوحد إيمانها بالمستقبل وبحثها عن الطاقة الحية التي تختزنها روح الأمة في أعماقها.

اتسع صدر «الآداب» للجميع، ولم يضق صدرها وصدر صاحبها بأحد سوى الطفيليين وعديمي الموهبة وكتبة الخلفاء والسلاطين.

وكان لا بد لكي يستقيم السجال أن تظهر مجلة «شعر» حاملة فوق صفحاتها نكهة أخرى ورؤية مختلفة للثقافة والواقع. كانت كل منهما تشهد للأخرى ولا تنفيها. وكلتاهما معاً كانتا تشهدان لعافية عربية تبدو اليوم، وبعد كل هذه السنين، وكأنها تطل من مكان آخر لم يبق منه سوى سرابه، بعد أن تبددت الخطى والأحلام وسادت الهزائم والخوف، في مرحلة من «السيدا» العقلية العربية لم نعرف لها مثيلاً منذ قرون.

وانتقلنا بسرعة نحسد عليها من ثقافة التنوع إلى الامتثال. من الحرية إلى النفط، ومن تعددية السجال إلى «الحُرْم» الثقافي الذي يخوِّن الآخر ويميته وينفيه. كأن الزمن العربي الحالي هو زمن الإرهاب بامتياز. فقد نجحت السلطة في نقل الإرهاب من الواقع إلى النص.

ماذا صنعنا بذهب الشكل؟ ماذا فعلنا بوردة المعنى؟ سوى قتلهما معاً على مرأى من القاتل الأكبر، الذي يتأمل ضحاياه من فوق سدة النظام العالمي الجديد، تاركين لانسي الحاج وِدْياناً من الحسرة تردد سؤاله المر إلى ما لا نهاية.

لكن، هل أنا في مقام الشهادة «للآداب» أم لاستشهادنا على قارعة العصر مضرجين بأعمارنا المقصوفة وأقلامنا التي كسرتها الهزائم؟. على أننا، ونحن في صحراء اللهيب والقهر، لن نقبل أن نموت مكتومي الأنفاس والحناجر، كما فعل أبطال غسان كنفاني، بل سندق أبواب الخزان إلى أن ينفتح، أو نصم أذن العالم بأصواتنا المتعالية. ولتكن النهاية بدايتنا الأخرى. لن نردد مع المؤمنين الصاغرين «ربنا لا توقعنا في التجارب» بل سنردد مع سهيل إدريس أننا لن نكف عن التجربة ولو قَلَّ الزاد وطال الطريق.

شوقي بزيع

«الآداب» المدرسة والدور

«الآداب» مدرسة لنا جميعاً. دورها بحجم تاريخ الحركة الأدبية اللبنانية والعربية. وسهيل إدريس، هو أكثر من رئيس تحرير مجلة؛ إنه مبدع، وكاتب، وصديق لجميع الكتّاب والمبدعين.

للآداب، في عيدها الأربعين، كل حبنا، وأملنا في أن تبقى وهجاً للديمقراطية والحرية.

الياس خوري

بلغت «الآداب» الأربعين، وأنا كذلك!

عمرها عمرنا، أربعون سنة على مجلة الآداب وهي تحتضن أغانينا، أفراحنا وانكساراتنا. بدايتي كانت فيها. كان ذلك في أوائل العام ١٩٧٥، يومها كنت أشعر بأن كل شيء في بدايته. لماذا أضحك الآن من شعوري ذاك؟ ما أمر السباق الذي خضته، أنا و«الآداب»، منذ بدايتي فيها.

شردتنا الحرب معاً، ولكنا قاومنا ما استطعنا. لماذا قدر لطريقنا أن تكون محفوفة بما لا يحتمل من الصعوبات والمخاوف؟

إذن بلغت «الآداب» عامها الأربعين، وأنا كذلك. فتحيتي لها، عسى أن يكتب لنا مستقبل أكثر إشراقاً.

جودت فخر الدين

مزيداً من سنوات الابداع

لم تصدر «الآداب»، يوم صدرت، لتشكل رقماً محايداً يضاف إلى عدد المجلات العربية المتداولة، بل صدرت، إذ صدرت، لتكون منبراً ملتزماً ينطق، ببيان جديد، عن رسالة ثقافية قومية ترمي إلى غايتين اثنتين:

وعي الواقع العربي بعمق وشمول، والدعوة إلى تغييره على نحو جذري.

من هنا ألحت «الآداب»، أكثر ما ألحت، بحسب تعبيرها في افتتاحية العدد الأول من سنتها الثانية، على اتجاهين صريحين: أولهما وأهمها محاربة الاستعمار الذي ترزح تحته الأمة العربية، والاتجاه الآخر استيحاء المجتمع العربي الأدب الذي يحتاج إليه هذا المجتمع.

ذلك هو مضمون الرسالة التي انطوت عليها ولادة «الآداب» ثم نهضت بها واستمرت إلى يوم الناس هذا...

وإذا ما انقضت أربعون على تلك الولادة فإن الحاجة إلى الالتزام بالرسالة، التي نذرت نفسها لها، قد تعاظمت، اليوم، كما لم يسبق لها مثيل في تاريخ أمتنا المعاصر... فالقهر الأميركي يذهب بعيداً في إذلال هذه الأمة وفي إخضاعها لإرادته الطاغية. هذا من جهة ومن جهة مقابلة يبدو المجتمع العربي، اليوم، أشد ما يكون حاجة إلى إعادة تأسيس شاملة حيث يسع الكلمة الحرة المسؤولة أن تقوم بدور تاريخي.

ذلك هو التحدي الجديد الذي يتعين على «الآداب» أن تتصدى له بشجاعة، وهي قادرة على ذلك لما تتمتع به من خبرة غنية ومن توجه رسولي. فـ«الآداب» مطالبة اليوم، أكثر من أي يوم مضى، بالعمل المنهجي الدؤوب على إضاءة الوعي الثقافي العربي بزيت جديد، وعلى تعزيز جبهات المقاومة في روح الأمة العربية وفي فكرها والإرادة. فلا سبيل أمامنا إلى استنقاذ إنسانيتنا مما يهدد بالسحق والفناء إلا باستعادة وعينا التاريخي واستنهاض إرادتنا العامة وانتصارنا على شوائب الذات.

من هذا الموقع نتطلع، اليوم، إلى «الآداب» بأمل كبير وفي الذاكرة تتوهج صفحات لها مترعات بالخمائر والفتوحات وفي البال ينبض رسمها وهي تقف صامدة في وجه الزمن العربي المنهار...

فإلى مزيد من سنوات الخصب والمواجهة والإبداع أيتها الشجرة الأربعينية المتدفقة بنضارة الشباب ووعود المستقبل.

حبيب صادق

«الآداب» حرضتني على اكتشاف الجديد

كانت كتابنا الأول، حين بدأنا نتعلّم قراءة العربية الخارجة من عتمة المقابر.

قبلها كان شبه ظلام. بعدها تكاثرت الولادات، بالعدوى حيناً، وبروح المنافسة حيناً آخر، حتى كان ما كان بينها وبين «شعر» من تسابق على مساحات النفوس والأقلام.

وإذا كانت «الآداب» قد انطلقت من البحث عن الجديد في سياق الأصالة، وقدمت النماذج المضيئة التي شكلت «ثروتنا» اللغوية والفنية، فإنها حافظت دائماً على هذا الهم الإبداعي دون التفات إلى المحاولات «الثورية» التي قالت بالتفجير والتخطي والتجاوز وما سوى ذلك من مصطلحات اتخذت سلماً لتخريب ما نلمس اليوم آثاره المدمرة على اللغة والفن.

فضيلة «الآداب» المركزية أنها عربية الخلفية والغاية. بعضهم اعتبر ذلك جموداً عند حدود كلاسيكية ضيقة، وهذا ناتج عن فهم مشوّه للخصوصية القومية في كل أدب. فالتّواقون إلى «عالمية» مفترضة، يجهلون أو يتجاهلون أن لا عالمية إلا عبر الخصوصية وإلا كان التسيّب الذي لا ينتمي إلى مكان أو زمان كما هي حالنا اليوم في أكثر وجوهها الكتابية.

بهذه الخصوصية القومية نعتبر «الآداب» مرجعية في قياس حركة التطور والنمو الثقافي والإبداعي في لبنان والعالم العربي. فهي قد كرست مبدأ نشر «الجيد» المرتبط بجذوره الطبيعية، ولم تتكئ، كسواها، على الترجمات والتغريب تجسيداً لغايات غير ثقافية ولارتهانات ايديولوجية في كثير من الأحيان.

على أي حال، إن الكلمة الفصل في قيمة دور أي مجلة أدبية لا يمكن أن تقال، موضوعياً، إلا من خلال قراءة نصوصها مرتبطة بالزمان وبالواقع الثقافي. وما يمكن أن يكتب في عجالة كهذه، ليس أكثر من موقف شخصي نابع من إحساس عفوي بموقع هذه المجلة في النفس والذاكرة والقناعات. من هنا، اعتبر نفسي منتمياً بشكل أو بآخر إلى «الآداب» في ما غرست من رؤى وكوّنت من آفاق ثقافية واسعة. وقد يكون ذلك راجعاً إلى عصبية عندي للغة العربية باعتبارها لغة قومي، وإلى كون «الآداب» قد حرضتني على اكتشاف الجديد في سياق الأصالة مما أنتجته هذه اللغة ونشرته «الآداب».

في الستينات كنا في حيرة من الأمر. نقرأ الأدب الأجنبي فنجد أننا نكتب بحبر مزوّر. وحدها «الآداب» كانت الجواب على ما نبحث عنه. مجلة «شعر» فجرت حواراً واسعاً لا يزال مستمراً. أما مجلة «الآداب» فقد كرست استقراراً للنص كنا بأمس الحاجة إليه في سعينا إلى اكتشاف الطريق.

لماذا نربط دائماً بين «الآداب» و«شعر»؟؟

لأنهما حالتان ثقافيتان تحريضيتان لا نستطيع إلا المقارنة بينهما والانتماء إلى إحداهما. نحن جيل من المثقفين رفض أن يحفر في الفراغ. تشكيلنا الثقافي هو في جوهره سياسي. من هنا تشبثنا ببلوغ الآفاق انطلاقاً من الأعماق. أليس هذا ما يجعل «الآداب» كتابنا الأول؟

بعد أربعين سنة نقول: لو تستعاد أيامنا تلك!!

في ظل الفوضى المدعية، والغوغائية المتشاوفة، والإفلاس المتجبر، والأمية الغالبة، نقول: لو يستعاد زمن كان فيه البحث عن مفردة كالبحث عن زمرّدة.

على «الآداب» تعلمنا قراءة العربية الخارجة من عتمة المقابر.

فعلى من نتعلم العربية اليوم وهي المغتصبة المضرجة بدمها البكر والملوثة بالأيدي الكافرة؟

غسان مطر

«الآداب» وشباب ما بعد الأربعين..

يروى عن الزعيم العربي جمال عبد الناصر أنه تحدث عن التأثير الوطني والثوري العميق لرواية توفيق الحكيم «عودة الروح» في فكره وسلوكه وتوجهه الوطني أيام شبابه، وأنه قال: هكذا يمارس الأدب العظيم تأثيره، غير المباشر، والفاعل في الأحداث السياسية والتغييرات الاجتماعية.. بطريق التأثير في وعي المكافحين.

... في هذا السياق، وعبر هذا الطريق، نرى إلى دور مجلة «الآداب» في بلورة وعي ثقافي جديد في العالم العربي.. فهذه المجلة العريقة ـ وخلال أربعين عاماً من الخصب الذي نحبّ له أن يتجدد باستمرار ـ قدمت إسهاماً كبيراً جداً، عميقاً وشاسع المدى، في نهوض الأدب العربي الجديد، في إغناء هذا الأدب وتنويعه، في تغيير الأدب العربي ودفعه باتجاه أفقٍ وطني قومي عربي تحرّري، فاعل.

فعبر طريق الإسهام بتغيير الأدب العربي ـ إذن ـ وبلورة مطامحه التجدّدية وتجذير توجهاته التحرّرية والقومية.. قدمت «الآداب»، وتقدم، إسهامها الكبير في بلورة وعي ثقافي عام وجديد في الوطن العربي.

* * *

أربعون مجلداً (ومن القطع الكبير، الدسم..).. أي: آلاف الأسماء.. والأعمال.. والأنواع الأدبية.. والطروحات الفكرية.. والدراسات والأبحاث.. والعديد العديد من التيارات الأدبية الشعرية الجديدة ـ رأت النور عبر صفحات «الآداب».. والعديد العديد من الأسماء التي صارت نجوماً في عالم الشعر والقصة والدراسة والنقد، تفتحت أضواؤها، بداية، في صفحات «الآداب».. وعشرات المعارك الأدبية والفنية والفكرية والسياسية أيضاً، خيضت، بكلّ الحرية التي أتاحها سهيل إدريس، على صفحات هذه المجلة الديموقراطية فعلاً، والمدافعة فعلاً، وفي مختلف المراحل، عن حرية الفكر وحريات الكتاب والأوطان.

* * *

وليس صدفة أن «الآداب» صدرت مع بدايات النهوض العربي القومي الحديث، وصعود ثورة يوليو، والتوجهات التحررية التغييرية التي قادها جمال عبد الناصر، ومع تصاعد الحركات الوطنية الجماهيرية في الوطن العربي كله، وازدهار الحركة الثقافية العربية وانتصار تيارات الجديد في الشعر والقصة والمسرح والنقد والدراسة... فكانت «الآداب» أحد أهم المراكز الثقافية الأساسية الحاملة لنتاجات هذه التغيرات، والفاعلة فيها بجدارة، وصبر، وطول نفس، وعناد.

وإذا كانت النكسات والتراجعات في حركة التحرر الوطني العربية مارست تأثيراً سلبياً في مدى فاعلية «الآداب» وغيرها من المجلات الثقافية الفكرية، خلال سنوات الرماد الأخيرة هذه.. فإن

لدينا كل الثقة بأن «الآداب» ستجدد نفسها، وهي - مع غيرها - ملزمة بأن تجدد نفسها، وتقف - عنيدة ومعاندة - بوجه تيار الانحدار.

ونحن بالانتظار، أيها الصديق سهيل إدريس.

فبعد الأربعين: شباب جديد. . أكثر نضوجاً، وأعمق خبرة، فلا بد أن يتميز، أيضاً، بجرأة اقتحامية، واعية □.

محمد دكروب

صباح الاربعين رائحة المحابر والأوراق

نشر الشاعر محمد علي شمس الدين في مجلة «الكفاح العربي» (رقم العدد ٧١٥) المقال التالي

مجلة الآداب أُمّ. إنها مُولِّدة ثقافة، مازالت تتوالد وتتفرع، من أربعين عاماً حتى اليوم. وكالأم التي تربي أجيالها، فإن مجلة «الآداب» ربّت أربعة من الأجيال الأدبية، بدءاً من فجر عام ٥٣ (أول صدور لها)، وصولاً إلى عتبات ٩٢. مجلة «الآداب» إذن، مجلة لها أولاد، وأحفاد. . أطال الله بعمر مؤسسها الصديق الدكتور سهيل ادريس، هذا على أنه مازال في ريعان الشباب، روحاً وهمة. ومع الاحتفال بصباح الأربعين «للآداب»، يَصحّ فيها وفي مؤسسها، ما قاله قيس بليلى: «لم تزل ليلي بعيني طفلة
لم تزد عن أمس إلا اصبعا».

ونقول أيضاً: ليكن لـ«الآداب» عمر جديد ومديد أيضاً. وقد أخذتُ عدداً من أعدادها القديمة، وهو العدد الصادر في نهاية العشر سنوات الأولى لعمرها (العدد السابع، تموز/يوليو - السنة العاشرة ١٩٦٢) وتأملتُ فيه وسبرتُ أغواره. وأخذت أيضاً العدد الأخير من إصداراتها، وهو (الأعداد ١و٢ و٣ كانون الثاني، شباط، آذار/يناير، فبراير، مارس ١٩٩٢/مجموعة في عدد واحد)، وهو الذي يحمل بشرى الأربعين للمجلة، وتأملت فيه أيضاً، وسبرتُ أغواره، فوجدت أن أشياء قد تغيرت في المجلة، وأشياء لم تتغير. فغلاف إصدار ٦٢ يختلف عن غلاف إصدار ٩٢، من حيث اللون، والإخراج، وتوزيع الإعلان عن مادة العدد. غلاف ٦٢ أحمر، مشطوب بشكلين هندسيين على شكل هلالين، أحدهما أسود والآخر أبيض. والتوزيع الهندسي لمواد العدد توزيع عمودي، في حين أن لون عدد ٩٢ أخضر، وليس ثمة أي شكل هندسي عليه. أما فهرس المواد فأفقي. . . ولاحظت أن إخراج عدد ٦٢، أجمل من إخراج عدد ٩٢.

عدد صفحات عدد ٦٢ هو عينه عدد صفحات عدد ٩٢، وهو ٨٠ صفحة. لعل عدد الملازم ألزم بهذا العدد. ولكن فرقاً بين العددين لا بد من الانتباه إليه، على الرغم من توحيد عدد الصفحات. فإنّ ثمانين صفحة لعدد ٦٢ هي صفحات عدد واحد (السابع/تموز/يوليو ٦٢)، في حين أن ثمانين صفحة لعدد ٩٢ هي صفحات ثلاثة أشهر (كانون الثاني، شباط، آذار/يناير، فبراير، مارس). وحيث أن المجلة هي «مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر»، كما ورد في شعارها، فمعنى ذلك أن المادة الشهرية لإصداراتها تقلصت إلى الثلث تقريباً.

في الحقيقة، إن هذه المجلة، كحيوية إبداعية، ومجال نشاط ثقافي، ألحقت بها الحرب الأهلية اللبنانية الكثير من الأذى، كما ألحقت بسواها من المجلات. لقد أصابتها الحرب بانتظام صدورها من جهة، مثلما أصابتها في بعض مادتها الإبداعية. فضيلتها الأولى أنها استمرت حية ولم تمت على الطريق. ماتت مجلات كثيرة قبلها، بلا حروب. لقد صمتت قبلها مجلة «شعر» صمتاً أبدياً في الستينات. كذلك سكتت مجلة «حوار»، ومجلة «الأديب». مجلة «الآداب»،بعزيمة صاحبها، وإرادة الحياة لديها، استمرت، حتى اليوم، وهذه الإرادة بالذات هي التي ستجددها، في تصوري، على الرغم من المنافسات الكبيرة التي ستدخل معها مجلة «الآداب» - هذه المنافسات المزودة بتمويل قوي (نفطي أو سلطوي)، وإغراءات للكتاب، الذين تهفّ نفوسهم لرائحة المال (وهذا من حقهم، على كل حال، إنما في حدود لا مجال للتفصيل فيها هنا).

قوة دفع مجلة «الآداب» (وهو ما يظنه البعض نقطة ضعف فيها) - هي أنها حرة وغير مرتهنة لا لسلطة في السياسة ولا لسلطة في المال. ثياب سهيل ادريس لا تفحّ بالنفط. ربما مجدُه رائحة المحابر والأوراق. هذا هو مجدنا نحن أيضاً. إن حرية الإبداع والثقافة حرية عزيزة، ومكلفة أيضاً. إنما هي متعة لا تضاهيها متعة أخرى.

نستأنف مقارنة العددين المشار إليهما آنفاً بـ ٦٢ و٩٢. نجد أن فارق ثلاثين عاماً من عمر المجلة لم يأت فارقاً لحساب الإبداع فيها (وذلك ليس من مسؤوليتها هي، بل لعلنا في ذلك نلمس نكسة في الإبداع لا في المجلة). سنجد، مثلاً، أن قصيدة «مذكرات الصوفي بشر الحافي» في العدد القديم، لا تضاهيها قصائد العدد الجديد، وربما لا تضاهيها قصائد عبد الصبور الأخيرة عينها. باطنية وموحية جداً وشديدة الجاذبية، هي مذكرات بشر الحافي.

جزء من الشعر الذي لا يمس، هي، في عمارة عبد الصبور البلورية، لا يمس، لشدّة شفافيّته. آسر جداً حتى إنني تمنيت لو كانت هذه القصيدة لي، ثم أعطيها أنا لصلاح. «تظل حقيقة في القلب توجعه، وتضنيه/ولو جفت بحار القول لم يبحر بها خاطر/ولم ينشر قلاع الظن فوق مياهها ملّاح/وذلك ان ما نلقاه لا نبغيه/وما نبغيه لا نلقاه/وهل يرضيك أن أدعوك يا ضيفي

لمائدتي/فلا تلقى سوى جيفة؟/تعالى الله أنت وهبتنا هذا العذاب» وهذه الآلام/تعالى الله هذا الكون موبوء ولا برء/. . . تعالى الله هذا الكون لا يصلحه شيء/فأين الموت أين الموت أين الموت؟.

في العدد عينه، «طريق» سليمان العيسى مازال على حاله. محمد عفيفي مطر يكتب عن جريمة في غرناطة (اغتيال غارسيا لوركا)، و«القمر الأخضر» لحسن فتح الباب، قمر طيب. «خمرة الذات» لفؤاد الخشن، خمرة ٦٢ معتقة، ستؤتي نشوتها في التسعينات. وشاذل طاقة كانت له «أغنية للحب». العدد كما نلاحظ، يشكل نبضة شعرية حقيقية (لا ننس أنه صادر في عام ٦٢).

نلتفت إلى الأبحاث، فماذا نجد؟

الطريف في الأبحاث أنها، في هذا العدد، تضم بحثاً للدكتور علي سعد («الثورية ومصادرها عند مارون عبود»)، كما أن عدد ٩٢ يضم بحثاً للدكتور سعد عينه («آفاق جوزيف حرب في **مملكة الخبز والورد**»). علي سعد هنا أكثر انفعالية مما كان هناك. نجد أيضاً اسماً آخر يتكرر في العددين. إنه هاني الراهب. ففي عدد ٦٢ كانت له قصة «مقعدان في صالة للتمثيل»، وفي عدد ٩٢ له قصة «تلك الدقائق». ما تغير في العددين هو إضافة حرف واحد لهاني الراهب. ففي العدد القديم كان اسمه هكذا عارياً من لقب. أما اليوم فقد سبق اسمه حرف (د). وأنا شخصياً ضد أن يقترن اسم المبدع بغير حاله. إن(د) لن تضيف شيئاً إلى إبداع هاني الراهب.

في العدد القديم، إلى من ذكرنا، أسماء: عبد اللطيف شرارة، محمد حيدر، محمد الشفقي، اورخان ميسر، غالب هلسا، محيي الدين صبحي، سليمان الجبوري، مطاع صفدي، علي بدور، عبد الفتاح حسن، ديزي الأمير، ألبرتو مورافيا، عادل آدم.

أما العدد الجديد فنجد فيه الأسماء التالية: الدكتور سهيل ادريس، الدكتور سامي سويدان، الدكتور علي سعد، الدكتورة يمنى العيد، الدكتور سماح ادريس، الدكتور شاكر النابلسي، فاتح عبد السلام، قيس كاظم الجنابي. والقصائد هي لجوزف حرب، محمد علي شمس الدين، الدكتور علي جعفر العلاق، باسل الرفايعة. أما القصص فلكل من الدكتور هاني الراهب، طالب الرفاعي، جانسيت برقوق شامي.

تقليد طيب عاد للعدد الجديد، بعد أن غاب عن كثير من الأعداد السابقة، وكان من مميزات «الآداب»: وهو باب القراءة النقدية المتعددة لمواد كل عدد سابق، في العدد اللاحق. مارسه في العدد الجديد الدكتور سامي سويدان.

نلاحظ أن الإعلانات الثقافية في عدد ٦٢ مأخوذة بثقافة العصر. نقرأ على الغلاف الأخير «أصابعنا التي تحترق/ رواية سهيل ادريس/ تصدر هذا الشهر». في الداخل إعلانات عن قصص سارتر وقصص كامو (وقد نقلها د. ادريس، والسيدة عايدة مطرجي ادريس.. والتحية لها أيضاً، هنا، مقترناً اسمها في الجهد والإبداع باسم صاحب «الآداب»). نقرأ أيضاً لائحة بأسماء دواوين شعراء الحداثة الصادرة عن دار الآداب، وإعلاناً عن كتاب لغادة السمان.

هكذا هكذا، بين الوجودية والحداثة الشعرية، وبين الترجمة والأصالة، كانت تتحرك مجلة من أهم مجلاتنا الأدبية والثقافية، هي مجلة «الآداب»، التي دخلت، بدخولها عامها الأربعين، تاريخ الأدب العربي الحديث، من أوسع أبوابه.

مجلّة الآداب

أنا من جيل عربي قليل المسرّات، ربّما لأن تربيته كانت تقدّم القضايا العامّة على الشؤون والشجون الذاتيّة، فحياتنا كانت أعياداً أو نكسات، ولا منطقة رماديّة في الوسط: عيد الجلاء، عيد الشهداء، عيد الوحدة، عيد الثورة.. ثمّ، من قبل أو من خلال أو من بعد، نكسة الانفصال، نكسة 1967، رحيل عبد الناصر.. فإذا دخلنا في التفصيل، أمكننا أن نضيف أعياداً ونكسات خاصّة بالمثقّفين، وكان في طليعة هذه الأعياد، بلا جدال، موعد صدور مجلّة «الآداب» مع مطلع كل شهر من بيروت، وبطبيعة الحال، كانت النكسات تتجلّى في إقدام الرقابة على منع «الآداب» من دخول البلد..

من حقّ الأجيال الأصغر سنّاً، ألّا تفهم هذا الكلام، أو أن تعتبره في أحسن الحالات، مجاملة طيّبة لأستاذنا الدكتور سهيل إدريس صاحب «الآداب» الذي احتفل، على طريقته، بعيدها السنوي الأربعين منذ فترة، ولكنّني أتمنّى على هذه الأجيال الأصغر سنّاً، أن تتقمّص جيلنا على سبيل المجاز، لتدرك معنى أن يقفز شاب في مطلع العمر إلى أوّل مكتبة، ليختطف تلك المجلّة المستطيلة، مطالعاً على الغلاف الخارجي الأوّل قائمة يتصدّرها خليل حاوي اللبناني وبدر شاكر السيّاب العراقي وعبد السلام العجيلي السوري ومحمد مندور المصري وإحسان عبّاس الفلسطيني وجيلي عبد الرحمن السوداني والطاهر وطّار الجزائري ومحمد شكري المغربي وحسن عبد الله القرشي السعودي وعبد العزيز المقالح اليماني ونور الدين صمود التونسي وغيرهم وغيرهم وغيرهم.. فهل كانت تلك مجلّة أدبيّة أم جامعة عربيّة كما ينبغي للجامعة أن تكون؟.

ولم يكن حشد هذه الأسماء عملية جمع عشوائيّة، بل كان هناك قانون داخلي يضبط الإيقاع العام للمجلّة، وهو قانون ممسوك بشروط صارمة توفّر، عند القطاف، فرحاً فنياً ثقافياً مضاعفاً لأجيال تتربّى وتترعرع في مناخ هذه الآداب..

أوّل هذه الشروط، كما أحسب، هو المستوى، وقياس المستوى الفنّي مشكلة بحدّ ذاته، لأن الشرط الثاني لقانون الآداب كان

الانحياز إلى تيّار التجديد. ولمّا كان لكل جديد غربة وأعداء ومقاييس لاتزال في طور التكوين، فإن الإجماع على الاعتراف بالمستوى الفنيّ لهذا النصّ أو ذاك كان صعباً ولم يكن مستحيلاً، وهو ما أملى على نادي «الآداب» المؤلّف من كتّابها وقرّائها، شرطاً ثالثاً ضرورياً، هو الحوار، واتّساع الصدر للرأي المخالف، وهو ما نجم عنه باب «قرأت العدد الماضي من الآداب» حيث تكلّف المجلّة ثلاثة من النقّاد أو المعنيّين بالنقد، لقراءة المقالات والقصائد والقصص المنشورة في آخر عدد، ومن حقّ صاحب كلّ نصّ أن يردّ، في عدد لاحق، على الناقد، ومن حقّ هذا أن يردّ بدوره على الردّ، وهذا كلّه يتمّ في مناخ ثقافي منحاز دون لبس إلى الاختيارات العامّة لحركة التحرّر العربيّة، على ما في تضاعيفها من خلافات أو إشكالات مطروحة على مائدة الحوار. . ويمكن القول إنّ هذه الحوارات ـ وبعضها عنيف ـ أسهمت في تشكيل وعي جيلين عربيّين على الأقلّ، وأنشأت صداقات (وأحياناً خصومات) شخصيّة على امتداد الوطن العربي كلّه.

في مثل هذا الشهر، قبل ثلاثين عاماً، رأيت اسمي، لأوّل مرّة، مطبوعاً على الغلاف الخارجي الأوّل لمجلّة «الآداب». كان لديّ من العمر خمسة عشر عاماً، وكنت قد أرسلت قصيدة ونسيتها أو حاولت أن أقنع نفسي بالنسيان، فمراسلة مجلّة المجلّات تلك بالنسبة إلى الفتى الذي كنت يعدّ تطاولاً غريباً، وزاد من إحساسي بذلك التطاول أن شاعراً معروفاً في مدينة حمص التي كنت فيها أعيش، سبق له أن أرسل قصيدة إلى «الآداب» فنشرتها في بريد القرّاء، ولم أكن لأدرك آنذاك أن «الآداب» تخوض ببسالة وإخلاص معركة الشعر الحديث، ولهذا فإنّني حين رأيت اسمي كاد قلبي يقف، وحدّقت طويلاً، لا إلى اسمي، بل إلى اسم المرحوم صلاح عبد الصبور الذي كان له في ذلك العدد قصيدة اكتسبت، فيما بعد شهرة كبيرة، هي «مذكّرات الملك عجيب بن خصيب»، وتساءلت بيني وبين نفسي عن شخصيّة صاحب «الآداب» هذا الذي «لا يتورّع» عن أن يضع اسم فتى في الخامسة عشرة إلى جوار اسم صلاح عبد الصبور. . وكان عليّ أن أكبر وأتعرّف أكثر فأكثر. . على هذه المجلّة التي وضعت، بعد ذلك وغير مرّة، اسم شاعر شاب أو قاصّ شاب قبل اسم شاعر كبير أو قاصّ مشهور لا يحكمها في ذلك إلّا الاقتناع وإعطاء الفرص إلى أبعد حدّ. .

وانكسر الخطّ البياني لصعود حركة التحرّر العربي، مع بداية السبعينات ولأنّ «الآداب»، موضوعياً، جزء من حركة التحرّر هذه وإن لم تتلقّ عبر أربعين عاماً قرشاً واحداً من جهة سياسيّة، فقد تأثّرت بحالة الانكسار، وكان على المحاربَيْن سهيل وعايدة إدريس أن يتحدّيا ظروف الحرب اللبنانيّة ويواصلا إصدار «الآداب» ولو بشكل متقطّع. . فقد أصبحت هذه المجلّة امتداداً إنسانيّاً لهما وللقرّاء. وإن أنس لا أنس بوح الدكتور سهيل لقرّائه في إحدى افتتاحيات «الآداب» عندما تعرّضت إحدى كريماته لحادث خرجت منه سليمة بحمد الله.

يومها ـ أذكر ـ أنّي شعرت بأنّ هذه أسرة لا مجلّة، ولقد عاودني هذا الشعور ثانية، عندما قرأت منذ مدّة وجيزة، افتتاحيّة للآداب بقلم الدكتور سماح إدريس، يا الله لقد كبر الطفل واكتهل الفتيان وها هو ذا طفل الأمس يكتب بحماسة فتوّتنا ولكن بخبرات جديدة.

طفرت دمعة من عيني وأنا أقرأ لصاحب «الآداب» في ختام افتتاحيّته الأخيرة «عاهدت نفسي على الاستمرار في إصدار «الآداب» ما دمت على قيد الحياة. .

وله أقول: «وأعاهدك أن أظلّ وفياً للآداب ما دمت على قيد الحياة». .

عيد الآداب؟. . بل الآداب عيد. .

أحمد دحبور

(عن جريدة «الصدى» التونسيّة
بتاريخ ٩ ـ ٥ ـ ٩٢)

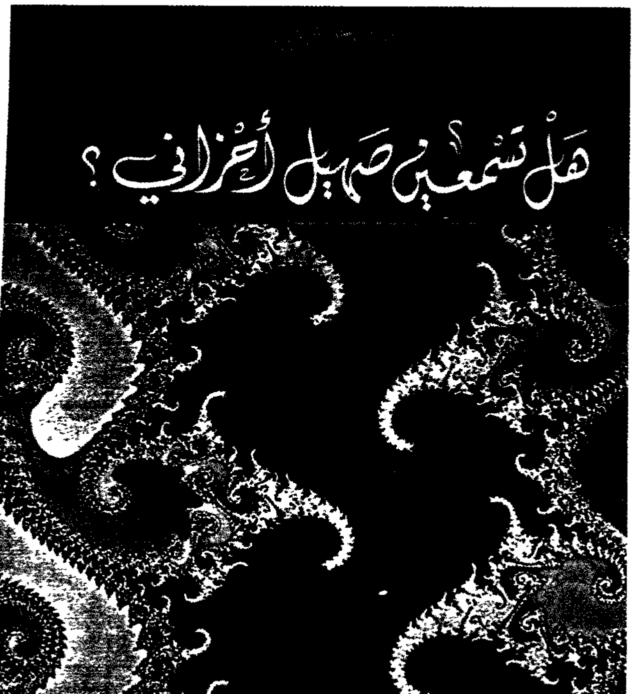

الموزّع الحصري لمنشورات نزار قبّاني
دار الآداب ـ بيروت